

www.ikhwanweb.com

Ikhwanweb Tarjamat

IkhwanScope.com

راند مركز السياسة العامة للشرق الأوسط

مؤسسة راند مؤسسة أبحاث غير ربحية وتقدم أبحاث موضوعية وحلول فعالة لمواجهة التحديات التي تعترض القطاعات العامة والخاصة حول العالم.

تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين

Building Moderate Muslim Networks

أنجيل راباسا

تشيريل بينارد

لويل أتش شفارتز

بيتر سيكل

الراعي الرسمي مؤسسة سميث ريتشاردسون

الملخص

اكتسبت التفسيرات الراديكالية والمنتددة للإسلام أرضية واسعة في المجتمعات الإسلامية على مدار السنوات الأخيرة. وبالرغم من وجود أسباب كثيرة وراء ذلك بجانب الدراسات التي مازالت مستمرة لاكتشاف هذه التفسيرات والأيدولوجيات إلا أن العوامل البنيوية تلعب الدور الأكبر في هذا الصدد. إن شيوع الأنظمة الاستبدادية في العالم الإسلامي وتفسخ مؤسسات المجتمع المدني جعل المسجد هو المنتفس الوحيد لأصحاب هذه الآراء للتعبير عن الغضب الشعبي العارم ضد هذه الأنظمة الفاسدة والأوضاع المتردية في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وفي العديد من دول العالم الإسلامي وخاصة المستبدة منه يظهر الراديكاليون من الإسلاميين في صورة البديل الوحيد لهذه الأوضاع المتردية ويقومون بشن حربهم في وسائل الإعلام والساحة السياسية سواء بشكل معلن أو بشكل سري طبقاً لدرجات الاستبداد والقمع الذي يواجههم.

ولقد نجح الراديكاليون والاستبداديون في إرهاب المعتدلين من المسلمين وتهميشهم وإسكاتهم، وهؤلاء المعتدلون هم بالفعل من يشتركون معنا في الإيمان بالثقافة الديمقراطية مهما اختلفت طبقاتهم.¹

وفي كثير من الدول الإسلامية مثل مصر وإيران والسودان يتم اغتيال المسلمين الليبراليين من المفكرين أو إجبارهم على الهجرة من بلادهم. وفي دول أكثر ليبرالية مثل إندونيسيا يلجأ الراديكاليون للعنف والتهديدات

¹ تشمل هذه الأبعاد نشر الديمقراطية والترويج للتعددية وحقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين ونبذ العنف والقبول بالقوانين غير الطائفية ويتم مناقشة ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس "خارطة الطريق لإنشاء شبكات من المعتدلين المسلمين"

لإرهاب خصومهم أما هذه الأساليب فتزداد في الغرب مع الشتات الإسلامي هناك. وبعيدا عن هذه الأساليب التي يستخدمها الراديكاليون في إخضاع الجانب الآخر من المسلمين لاعتقاداتهم وآرائهم الدينية إلا أنهم يتمتعون بميزتين لا يتمتع بها الليبراليون الإسلاميون الأولي المال لأن السعودية هي أكبر ممول للإسلام الوهابي وخاصة في الثلاث عقود الأخيرة سواء بقصد أو غير قصد مما له أثر بالغ في انتشار التطرف. والميزة الثانية التي يتمتع بها الراديكاليون هو القدرة على التنظيم، حيث استطاعت الجماعات الراديكالية خلال السنوات الأخيرة من عمل شبكات كبيرة استطاعت بعضها أن تكون عالمية ولها ثقل في العلاقات الدولية. وبالتالي، فإن هذا البون الشاسع بين الراديكاليين والليبراليين في هذين المقومين أهل الراديكاليين - بالرغم من قلة عددهم في العالم الإسلامي - أن يكون لهم النفوذ الأكبر الذي لا يتناسب مع عددهم. إذا فإتشاء شبكات دعم للمسلمين المعتدلين أصبحت ضرورة بما أنهم لا يملكون المقومات المالية والتنظيمية وبالتالي إنشاء أرضية يستطيع من خلالها الليبراليون توجيه رسالتهم وأهدافهم كما أنها ستوفر بعض الحماية من بطش المتطرفين و بطش حكوماتهم التي ترى فيهم بديلا عن الاستبداد وبديلا عن الراديكاليين المتطرفين.

وبما أن الليبراليين يفتقرون هذه المقومات التي تؤهلهم لإنشاء شبكات خاصة بهم، أصبح من الواجب وجود دعم خارجي لهم. ويرى البعض أن الولايات المتحدة - وهي دولة غالبيتها ليست مسلمة - لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور لوحدها. في حقيقة الأمر لا ينبغي على الإطلاق الاستهانة بالعقبات التي تحول دون إحداث تطورات سياسية اجتماعية في الدول الخارجية. ومن التجارب السابقة لعبت الولايات المتحدة دورا غاية في الأهمية أثناء الحرب الباردة من خلال دعمها للمعتدلين من السوفييت.

وفي هذا التقرير سنشرح كيف قامت الولايات المتحدة ببناء ودعم هذه الشبكات في الحرب الباردة وكيف استطاعت أن تميز وتحدد شركائها وكيف تمكنت من حمايتهم كمن أي مخاطر. ثانيا سنقوم بتحليل المتشابهات والفروق بين الجو السائد في الحرب الباردة وصراع اليوم مع الإسلام الراديكالي وما هو دور هذه المتشابهات في الفروق في التأثير على جهود الولايات المتحدة. وثالثا سنقوم بتحليل استراتيجيات وخطط الولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامي. وفي النهاية سنقوم بصياغة "خريطة طريق" لإنشاء شبكات من المسلمين المعتدلين استنادا على الخبرة المكتسبة من الحرب الباردة وأبحاث راند السابقة في تحليل الاتجاهات الأيديولوجية في العالم الإسلامي.

وهناك ملحوظة لا بد من ذكرها -كما استنتج القائمين على هذا البحث- وهو أن الولايات المتحدة وحلفائها قد فشلوا في تحديد معيارية لحلفائها من المعتدلين فعلا. ولكن تبقى النتيجة النهائية هي عدم تشجع المسلمين المعتدلين.²

دروس وعبر من الحرب الباردة

إن جهود الولايات المتحدة وحلفائها في سنوات الحرب الباردة لإنشاء منظمات وهيئات ديمقراطية حرة تحمل الكثير من الدروس والعبر وتفيد كثيرا في الحرب العالمية على الإرهاب.

في بداية الحرب الباردة كان الاتحاد السوفيتي يعتمد على ولاء الأحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية (وكان بعضهم من أكبر الأحزاب وأكثرها تنظيما داخل دولهم وكانت على وشك الوصول للسلطة بدلا من الأحزاب الديمقراطية) والأهم من ذلك هو اعتماده على عدد كبير من المؤسسات واتحادات العمال والمؤسسات الطلابية والشبابية والصحف وكل ذلك كان يصب في صالح الاتحاد السوفيتي. أما خارج أوروبا الغربية انضم لحلفاء الاتحاد السوفيتي عدد من الجماعات "التحررية" مناهضة للحكم الاستعماري. إن العلاقة الوثيقة بين الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة وجهودها لإنشاء شبكات تروج للفكر الديمقراطي كان المكون الرئيسي والعامل الأهم لانتصار سياسة الاحتواء الأمريكية وبالتالي فإن هذا النجاح يمكن أن يكون بمثابة المثال والتجربة لصناع السياسة اليوم في مواجهتهم للعالم الإسلامي.

كما أن هناك صفة رئيسية لمبادرات إنشاء الشبكات للولايات المتحدة وحلفائها وهو الصلة بين القطاعين العام والخاص.

والجدير بالذكر أنه داخل الولايات المتحدة وأوروبا كان هناك بالفعل حركات ثقافية مناهضة للشيوعية خاصة في اليمين غير الشيوعي. وكانت الحاجة الماسة في هذا الوقت لعاملين مهمين المال والتنظيم لتحويل الجهود الفردية إلى حملة واسعة النطاق. ولم تقم الولايات المتحدة بإنشاء هذه الشبكات من فراغ، ولكن هذه الشبكات جاءت نتيجة لجهود حركات فكرية وثقافية قامت الولايات المتحدة والعديد من الحكومات بتبنيها وإيوائها.

وبدت الولايات المتحدة في كل هذه المساعي كالمؤسسة البحثية حيث قامت بتقييم كل المشاريع والأفكار لتحديد مدى ملاءمتها لمصالح الولايات المتحدة وقامت بدعمها ماديا ثم ابتعدت عن الصورة وتركت هذه المنظمات والهيئات بإدارة نفسها وتحقيق أهداف الولايات المتحدة دون تدخل مباشر من الولايات المتحدة. وكأي مؤسسة

² هيلد فراذكين مراجعة التقرير أكتوبر 2006

رسمت الولايات المتحدة الخطوط والمصارف التي ستقوم بتمويلها بالأموال وأدرك المسؤولون الأمريكيون أنه كلما ابتعدت المسافة بين حكومتهم وبين المؤسسات المدعومة الحليفة، زاد نجاح أنشطة هذه المنظمات.

أما اليوم فتواجه الولايات المتحدة تحديات جسيمة في إنشاء شبكات ديمقراطية في العالم الإسلامي مثل لا تقل خطورة عن التحديات التي واجهتها في الحرب الباردة. ويوجد ثلاث تحديات متعلقة الأولى، في نهايات الأربعينات حتى بدايات الخمسينات بحث صناع السياسة الأمريكية في مسألة هل يجب أن تكون جهودهم في إنشاء الشبكات هجومية أم دفاعية. رأى البعض أنه يتحتم على الولايات المتحدة أن تتبنى استراتيجية هجومية للقضاء على الحكم الشيوعي في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي من خلال دعم الجماعات التي تريد الإطاحة بالحكومات الشيوعية سواء في السر أو في العلن. بينما رأى البعض أن تتبنى الولايات المتحدة استراتيجية دفاعية تركز على "احتواء" الخطر السوفيتي عن طريق دعم القوى الديمقراطية في أوروبا الغربية وآسيا وأمريكا اللاتينية. بالرغم من أنه استقر الأمر على السياسة الدفاعية في معظم الأحيان إلا أن الولايات المتحدة حاولت أن تسير بالعكس فبدلاً من أن تتدفق الأفكار الشيوعية إلى الغرب عن طريق الاتحاد السوفيتي والمؤسسات الموالية له بل تتخلل الأفكار الديمقراطية هذا السد المنيع عن طريق إنشاء شبكات معلومات جديدة.

أما التحدي الثاني الذي واجهه صناع السياسة الأمريكية إبان الحرب الباردة هو الحفاظ على مصداقية الجماعات التي تساندها الولايات المتحدة. ويحاول القائمين على هذه الجماعات التقليل من كل المخاطر المحتملة التي قد تتعرض لها الجماعة أولاً عن طريق تحجيم المسافة بين هذه الجماعات وحكومة الولايات المتحدة ثانياً اختيار أفراد بارزين ذوي ثقة على المستوى الشخصي لتولي مناصب قيادية في الشبكات. ويذكر أن الولايات المتحدة قد ساندت أنشطة إنشاء الشبكات لمنظمات مستقلة مثل الاتحاد الأمريكي للعمال.

أما التحدي الثالث الذي كان يواجهه صناع السياسة الأمريكية هو تحديد مدى اتساع نطاق معارضي الشيوعية فعلى سبيل المثال، هل يضم هذا النطاق اشتراكيين انقلبوا على الشيوعية ولكن في نفس الوقت ينتقدون بعض سياسات الولايات المتحدة. ولكن في النهاية قررت الولايات المتحدة إشراك أي أحد يمثل جزءاً من هذا التحالف طالما استوفى شروط معينة...

التشابه والفرق بين مناخ الحرب الباردة والعالم الإسلامي اليوم.

هناك ثلاث خطوط تشابه فيها حقبة الحرب الباردة مع الصراع مع العالم الإسلامي اليوم أولاً أن الولايات المتحدة كانت ومازالت منذ الأربعينات في مواجهة مع بيئة سياسية جغرافية جديدة تشكل خطر على أمنها ففي بدايات الحرب الباردة كان التهديد هو الحركة الشيوعية الضخمة ويقودها الاتحاد السوفيتي الذي يمتلك السلاح

النووي أما الخطر اليوم يكمن في الحركات الجهادية التي قد تشن هجمات ضد الغرب وبشكل عشوائي من خلال الممارسات الإرهابية. ثانياً كما كان الحال في بداية الأربعينات واجهنا شيوع نطاق كبير من البيروقراطيات الجديدة من قبل حكومة أمريكا لمواجهة هذه التهديدات. والأخيراً والأهم أنه في بدايات الحرب الباردة ساد الاعتراف بأن الولايات المتحدة يواجهون صراعاً أيديولوجياً، وفهم صناعات السياسة أن هذا الصراع يمكن مواجهته عن طريق الأبعاد الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والنفسية. أما اليوم، وكما اعترفت وزارة الدفاع في تقريرها الربع سنوي أن الولايات المتحدة اليوم تقود حرباً على الصعيدين الحربي والفكري فهي تقود معركة بالأسلحة ومعركة بالأفكار حيث لن تكون الغلبة على الجانب الآخر إلا بتشويه الأيديولوجيات المتطرفة في أعين معتقبيها ومؤيديها.³

عندما نعقد مقارنات تاريخية أن نذكر الفروق والمتشابهات بين الماضي والحاضر وكدولة قومية فإن الاتحاد السوفيتي كانت له مصالح قومية تتعلق بالدولة يقوم بحمايتها وحدود يقوم بترسيمها وبناء حكومي واضح أما اليوم فالمسألة مضادة فإن الولايات المتحدة في مواجهات أفراد خياليين وليست لديهم دولة تحتكم على أرض أو بعد جغرافي (بالرغم من أن بعضهم استطاع إقامة ملتجآت خارج سيطرة الدولة) وهؤلاء الأفراد يرفضون النظام الدولي ولا يخضعون لأعرافه كما لا يخضعون لكن الأساليب الطبيعية للردع. يوضح الجدول رقم 1 أهم الاختلافات بين مناخ الحرب الباردة ومناخ العالم الإسلامي اليوم:

جدول 1

الشرق الأوسط	الحرب الباردة	
تاريخياً ليست قوية ولكنها نامية	قوية تاريخياً	دور المجتمع المدني
اعتبار تشجيع الديمقراطية الأمريكية وبناء شبكات من المعتدلين على أنها علاقة غير متوازنة من قبل حلفاء أمريكا في الشرق الأوسط من الاستبداديين	عداوة مفتوحة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة أهم المجتمعات الغربية ينظر للولايات المتحدة في أوروبا الشرقية على أنها تحررية	العداوة بين الولايات المتحدة والحكومة المستهدفة أو المجتمع المستهدف.
لا ينظر للولايات المتحدة على أنها تحررية	قوية	العلاقات التاريخية
ضعيفة		

³ وزارة الدفاع الأمريكية، تقرير الدفاع ص 21-22

		والثقافية
دينية	علمانية	الأيدولوجية المضادة
غير منظمة ولا يوجد لها مركزية	محكومة مركزيا	طبيعة الشبكات المعارضة

برامج الولايات المتحدة المشتركة فيها مع الشرق الأوسط

في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كرست جهود عديدة ودراسات واسعة حول أمن المواطنين الأمريكيين والأراضي وخصص لذلك العديد من الموارد وفي نفس الوقت فإننا نعترف أن مكافحة الإرهاب لم تكن فقط مسألة إحضار الإرهابيين أمام العدالة ومحاكمتهم بل لا بد من استئصال جميع جذور الإرهاب. وأوضح تقرير الأمن الوطني الصادر في سبتمبر 2002 أن هناك مبدأ أمني خاص يؤكد على نتائج الأوضاع الداخلية لبعض البلدان خاصة البلدان التي تعاني من انعدام الديمقراطية. إن هذا المبدأ تم التأكيد عليه في السنوات الأخيرة بدءاً من تقرير اللجنة إلى خطابات الرئيس بوش وخاصة خطابه الثاني الافتتاحي.

وتعد " أجندة الحرية" التي أطلقها الرئيس بوش من "أكبر استراتيجيات" الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب. ولكن حتى الآن لم يتم إطلاق إجماع حول تحديد حلفاء الولايات المتحدة وشركائها في "حرب الأفكار". وتحديدًا لا يوجد سياسة من الولايات المتحدة صريحة لبناء شبكات من المسلمين المعتدلين بالرغم من أن هذا المشروع ماض بالفعل ولكن كعامل ثانوي في برامج مساعدة الولايات المتحدة. وهدفنا من هذا التقرير أن نجعل إنشاء شبكات من المسلمين المعتدلين هو الهدف الرئيس لبرنامج حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

إن مشروع إنشاء شبكات من المسلمين المعتدلين يمكن أن يمضي على ثلاثة مستويات (1) دعم الشبكات الموجودة بالفعل (2) تحديد الشبكات المحتملة ودعمها ومساعدتها على النمو (3) المساهمة في الأوضاع الرئيسية للتعددية التي ستكون في صالح نجاح هذه الشبكات. بالرغم من أن هناك عدد كبير من برامج الحكومة الأمريكية يصب في صالح المستويين الأولين إلا أن معظم الجهود الأمريكية لا تصب في صالح المستوى الثالث وقد يرجع هذا للأولويات التنظيمية ولحقيقة أن كثير من بلدان العالم الإسلامي تكون شبكات المعتدلين فيها أقلية كي تتحالف معها الولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك عندما يتم تعزيز إنشاء الشبكات من المعتدلين ينبغي للولايات المتحدة أن تواجه البيئة السياسية والاجتماعية وتواجه جميع مستويات مناهضة السياسة الأمريكية حول العالم الإسلامي. ولكن في أغلب الأحيان تكون برامج حكومة الولايات المتحدة التي تعيننا في هذا الشأن تتحسر في نشر الديمقراطية وتنمية المجتمع المدني والدبلوماسية العامة.

نشر الديمقراطية

من خلال الدبلوماسية التقليدية، تدخل الولايات المتحدة عادة في حوار الدولة للدولة وتقوم بعرض حوافز مثل "حساب تحديات الألفية" للدول التي تتضمن لرابطة الديمقراطية. وعادة تقوم الولايات المتحدة سواء بشكل علني أو سري بالترويج لمبادئ الليبرالية الديمقراطية مثل المساواة والتسامح والتعددية وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان. إن التأكيد على هذه المبادئ الديمقراطية يساهم في إنشاء مناخ سياسي واجتماعي يسهل من تكوين شبكات من المعتدلين.

وعلاوة على ذلك، تقوم كل من وزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية -المعونة الأمريكية USAID بوضع أوامر رسمية معينة لنشر الديمقراطية، ولترجمة هذه الأهداف إلى الواقع تتعاقد كلتا الجهتين مع المنظمات الأهلية خاصة الهيئة القومية للديمقراطية NED والمعهد الجمهوري الدولي IRI والمعهد الدولي للديمقراطية NDI ومؤسسة آسيا ومركز دراسات الإسلام والديمقراطية CSID وكل هذه المنظمات غير ربحية وتمولها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من بعد مبادرة الشراكة مع الشرق الأوسط عن برامج الولايات المتحدة في العالم الإسلامي إلا أنها تمثل محاولة جادة في الانفكاك عن كل البرامج السابقة التي وضعت في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر. وتصيغ المبادرة برامجها على أربعة مواضيع أساسية -الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي والتعليم وتمكين المرأة- وتقوم مباشرة بدعم المنظمات الأهلية الأصلية داخل البلد على أسس أكثر مرونة ومبتكرة. لقد تم صياغة هذه المبادرة بالرغم من أنها قسم حديث داخل وزارة الخارجية للانفكاك من البرامج التقليدية التي تقوم على أساس حكومة لحكومة مباشرة ولجأت للاعتماد على المنظمات الأهلية الأمريكية ويتم ذلك عن طريق عمل تعاقدات وتقديم منح للمنظمات الأهلية الأصلية داخل البلد في إطار الأربعة مواضيع الرئيسية.

في عام 2004 حاولت الولايات المتحدة مع حلفائها في الدول الثماني الصناعي الكبرى تبني استراتيجية متعددة الأقطاب لإطلاق مبادرة الشرق الأوسط الكبير وشمال أفريقيا. وفي صيف 2006 بدأت هذه المبادرة بإعمال جهودها لمحاكاة نموذج مؤسسة آسيا وهي أنجح المؤسسات على الإطلاق في نشر برامج تنمية هيئات المجتمع المدني -وذلك لنشرها في منطقة الشرق الأوسط.

تنمية المجتمع المدني

إن عملية نشر الديمقراطية لا بد وأن تكون مصاحبة لتنمية المجتمع المدني وهذا ما تؤكد الدراسات الأكاديمية حيث لا يمكن أن توجد ديمقراطية بدون وجود للمجتمع المدني. والمقصود بالمجتمع المدني هو القطاع العريض من المؤسسات والقيم التي تعمل كحاجز وتكون وصلة بين الفرد والدولة وبين الأسر والدولة وبين العشائر والدولة ويتمثل هذا في وجود مؤسسات مدنية إجتماعية (مثل المنظمات غير الحكومية) التي تقف كمعارضة أمام قوى الدولة. وبالرغم من أن المجتمع المدني لا ينشأ سوى في ظل الديمقراطية إلا أن وجوده ضروري وهام سواء للدول غير الديمقراطية أو الدول التي تسمح ببعض الممارسات الديمقراطية.

إن إنشاء شبكات من المعتدلين جزء لا يتجزأ من المجتمع المدني فالإنشاء يقويان بعضهما البعض ويعتمدان على بعضهما. ومن الناحية النظرية، إذا نشأ المجتمع المدني يتبعه الشبكات المعتدلة والعكس صحيح. أما من ناحية التطبيق، فإن جهود الولايات المتحدة في تنمية المجتمع المدني أكبر من نشر الديمقراطية ويزيد على ذلك تلك الجهود التي تتضمن شكل الانتداب- أو الأوامر الرسمية حيث أنها غير متعلقة بالديمقراطية وحدها. وتشمل هذه الجهود برامج تحسين الفرص الاقتصادية وإعلام مستقل ومسئول وحماية طبيعية للأقليات والمرأة والاهتمام بالصحة العامة والتعليم. إن هذا البحث الطويل يحتاج لتفصيل وتأصيل طويل وبناء تدريجي للديمقراطية والقيم الليبرالية من الجذور وبالتالي فهو جهد يأتي من أسفل إلى أعلى. إن هذه الاستراتيجية تقدم تحديات محددة لرسم سياسات الحكومة الأمريكية وخاصة وزارة الخارجية التي تقيم العلاقات مع حكومات الدول.

إن نشر الديمقراطية وإنشاء المجتمع المدني يواجهان عقبتان رئيسيتين: المقاومة المستميتة من قبل الأنظمة الاستبدادية ونقص المعلومات الملموسة عن معيار تقييم الأداء. وتتمثل مقاومة الأنظمة في القوانين المانعة لإنشاء المنظمات الأهلية أو قبول المساعدات الخارجية والإدارة الصارمة لأنشطة المنظمات الأهلية وقد حدث ذلك مؤخرا في البحرين حيث طردت بعض المسؤولين وفي مصر عندما قامت بتعليق الأنشطة.

وعلى الجبهة الدبلوماسية العامة بذلت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس جهود للتوفيق بين سياسة وزارة الخارجية والحكومة الأمريكية في "الدبلوماسية الانتقالية" التي سيقوم فيها مسؤولي الحكومة الأمريكية بغرس الدبلوماسية العامة على الصعيدين صناعة السياسة والتطبيق. ولكن داخل الحكومة، سنظل أهداف الدبلوماسية العامة متنوعة وليس من الغريب أن تأثيرها هو الأكثر تعقيدا ومن الصعب تقييمه.

وتبقى أهم الآليات السائدة لتوصيل الدبلوماسية العامة للعالم الإسلامي من خلال الإذاعات والقنوات الفضائية خاصة إذاعة سوا وشبكة الشرق الأوسط الأمريكية الحرة بالرغم من توجيهه عدده انتقادات حادة لهذه القناة لعدم قدرتها على جذب الجمهور إلا أن إذاعة سوا نجحت في جذب جمهور عريض. إن النجاح في جذب جماهير

عريضة من الناس لا تعني بالضرورة تحقيق مكاسب وإنشاء لشبكات المسلمين المعتدلين وبالرغم من التكلفة الباهظة لهاتين الأداتين سواء للحرّة أو إذاعة سوا (قد تصل التكلفة سنويا إلى 700 مليون دولار) إلا أنّهما استطاعتا أن تغيّرا من كثير من آراء العالم الإسلامي عن الولايات المتحدة.

خارطة الطريق لبناء شبكات من المعتدلين

وبعد الاطلاع على أكثر الاستراتيجيات تأثيرا في بناء وتكوين هيئات قوية وموثوق فيها من المنشقين البارزين وكذلك في مجال تغيير الأفكار أثناء الحرب الباردة، قمنا بعمل تقصي وتحري عن متقفي العالم الإسلامي وهيئاته ومؤسساته. وفي نفس الوقت قمنا بتقييم سياسة الولايات المتحدة ودبلوماسيتها العامة لإعادة صياغة الخطاب السياسي تجاه الشرق الأوسط. ومن خلال هذا البحث استخلصنا طريقة تطبيق مذكورة لاحقا.

إن الخطوة الأولى تتعلق بالولايات المتحدة وحلفائها لاتخاذ قرارا بإنشاء شبكات من المعتدلين وكذلك عمل علاقة صريحة بين هذا الهدف واستراتيجية الولايات المتحدة وبرامجها بالكامل. إن التطبيق الفعال لهذه الاستراتيجية يتطلب إنشاء هيكل تأسيسي داخل الإدارة الأمريكية لتوجيه هذا الجهد ودعمه وإدارته. وداخل هذا الإطار يتحتم على الولايات المتحدة أن تكتسب خبرة ضرورية وقدرة استيعابية لتنفيذ هذه الاستراتيجية والتي تشمل الآتي:

(1) وضع معايير صارمة وحادّة لتحديد المعتدلين فعلا في العالم الإسلامي والتميز بينهم وبين الانتهازيين و المتطرفين الذين يروجون لأنفسهم على أنهم معتدلين وتمييز الليبراليين العلمانيين من العلمانيين الاستبداديين. وتحتاج الولايات المتحدة إلى القدرة على اتخاذ قرارات حاسمة لتحديد ودعم الأفراد خارج هذا النطاق في ظروف محددة.

(2) عمل قاعدة بيانات دولية عن شركائها (الأفراد، الجماعات، المؤسسات، والهيئات والأحزاب إلخ)

(3) عمل آليات لإدارة وتنقيح البرامج والمشاريع والقرارات. ويشمل ذلك حلقة استرجاعية لإدخال بيانات وعمل تصحيحات تأتي من قبل هؤلاء الشركاء الذين تم تحديدهم على أنهم مصادر موثوق فيها.

إن جهود إنشاء الشبكات يركز مبدئيا على جماعة رئيسية من الشركاء الموثوق فيهم ومعروف توجهاتهم الفكرية ويعملون بشكل خارجي في هذا الهدف (مثل اتباع منهج المؤسسات السرية) وبعد التأكد من أيديولوجية المؤسسات الجديدة التي تم استهدافها تقوم الولايات المتحدة بمنح مستويات أعلى من الاستقلالية. إن مبحثنا هذا يدعو لإحداث تغييرات جوهرية في الاستراتيجية الحالية تجاه العالم الإسلامي، ويحدد البحث الحالي منطقة المشكلة في الشرق الأوسط ويقوم بصياغة برامجها بناءا عليه. إن هذه البقعة من العالم كبيرة

جدا ومتنوعة جدا ومعقدة وتقع في أيدي قطاع عريض من القطاعات غير المعتدلة. وقد تسحب هذه المنطقة الكثير من الموارد دون أي تأثير. وبالتالي على الولايات المتحدة أن تتبع استراتيجية جديدة تكون غير متماثلة وبتقوية. يذكر أنه في إبان الحرب الباردة، كان على الولايات المتحدة أن تتجنب مركز جاذبية الخصوم وبدلا منه تقوم بالتركيز على الحلفاء وبرامجها والمناطق التي استطاعت الولايات المتحدة أن تؤثر فيها أو أن يكون من المحتمل أن تؤثر فيها في حرب الأفكار.

أما بالنسبة للشركاء، فسيكون من الضروري تحديد القطاعات الاجتماعية التي تكون عوائق للشبكات المقترحة ويجب أن تعطى الأولوية للآتي:

1. الأكاديميون الليبراليون العلمانيون من المسلمين والمتقنين
2. صغار علماء الدين المعتدلين
3. النشطاء من الجماعات
4. جماعات الدفاع عن المرأة التي تدعو للمساواة بين الرجل والمرأة
5. الكتاب والصحفيون المعتدلون

يجب على الولايات المتحدة أن تضمن أن هؤلاء الشخصيات مدرجين في قائمة زيارات الكونجرس وتعريف دوائر صنع القرار بهم والمساعدة في الحفاظ على دعم الموارد من قبل الإدارة الأمريكية لجهود الدبلوماسية العامة.

يجب تنظيم برامج المساعدات في القطاعات الآتية وتشمل الآتي

1. التعليم الديمقراطي، وخاصة البرامج التي تستخدم نصوص إسلامية وأعراف فتتعلق بالتعاليم الاستبدادية وذلك لنشر القيم الديمقراطية والمبادئ التعددية.
2. الإعلام، دعم الإعلام المعتدل من أهم الطرق لمواجهة السيطرة على الإعلام من قبل العناصر غير الديمقراطية والمسلمين المحافظين.
3. مساواة بين الجنسين. إن أهم معركة فكرية نواجهها مع الإسلام هي حقوق المرأة، ويذكر أن أنصار حقوق المرأة موجودون في كل مكان. إن الترويج للمساواة بين الجنسين يعد مكونا رئيسيا لأي مشروع يهدف لتمكين المسلمين المعتدلين.
4. تأييد السياسة. إن الإسلاميين لديهم أجنداث سياسية وبالتالي يحتاج المعتدلون إلى تأييد لسياساتهم وأنشطة التأييد للسياسة مهمة من أجل صياغة البيئة السياسية والقانونية للعالم الإسلامي.

أما فيما يتعلق بالبعد الجغرافي، نحن نقترح عمل نقلة في الأولويات من الشرق الأوسط لمناطق أكثر اعتدالا في العالم الإسلامي حيث قد تسمح هذه البيئات بوجود أنشطة قد تحدث تأثيرا فيها وبالتالي من المحتمل أن تحقق نجاحا. إن هذا البحث يتعلق بالناحية الدفاعية. إن هذا البحث يحدد أفكار وجهود المتطرفين في الشرق الأوسط المطلوب مواهنتها لأن الشرق الأوسط هو مصدر تصدير الأفكار لمتطرفة وتؤثر هذه الأفكار في بقية العالم الإسلامي وكذلك الشتات المسلم في دول أوروبا وأمريكا الشمالية. يجب نشر وترجمة المقالات الهامة التي يكتبها المفكرون والمتفوقون والنشطاء والزعماء في الشتات الإسلامي مثل تركيا وإندونيسيا ويتم ترجمتها للعربية وتوزيعها على نطاق واسع. إن هذا لا يعني إغفال المناطق الهامة ولكن لا بد من البدء تدريجيا في هذه الجهود وبذاتها في بيئات أكثر اعتدالا حتى نحصل على نجاح ملموس.

هناك بالفعل بعض الشبكات العاملة الآن ولكنها تعمل بشكل عشوائي وغير كافية. أما الشبكات التي تم التأكد من أن أفرادها بالفعل معتدلون لم يتم تأسيسها بعد أما تأسيس لشبكات التي يشتبه في أفرادها على أنهم معتدلون تبقى غير مجدية وتبدد الموارد والنفقات. والمثال على ذلك ما حدث في الدانمارك، حيث عندما تم اختيار أئمة دنماركيين معتدلين تبين أنهم هم من قادوا الحملة الشعواء ضد الرسوم المسيئة لنبي الإسلام والتي امتد أثرها لتعم العالم الإسلامي وبالتالي تبين في النهاية أنهم غير معتدلين بعد التحري عنهم عقب الحادث.

إن الدبلوماسية العامة وثيقة الصلة بالإعلام وتحتاج لاهتمام بالغ للظروف المعاصرة. أثناء الحرب الباردة كان دور الإذاعات مجددا لأنه كان يصل للأفراد الذين يقطنون مناطق مترامية الأطراف وساعدهم على الحصول على المعلومات أما اليوم فإن العالم الإسلامي يغرق في كم هائل من المعلومات متحيزة وغير دقيقة. قناة الحرة وإذاعة سوا تعدان بالفعل صوت أمريكا في الشرق الأوسط إلا أنه بالرغم من التكاليف الباهظة إلا أن تأثيرهما ضئيلا جدا ولم تساعد في تلميع صورة أمريكا وتعطي معلومات إيجابية عنها. وبالتالي فإننا نرى أنه يجب أن تذهب هذه الأموال للإعلام المحلي والصحفيين الذين يعتنقون الديمقراطية ويؤمنون بالتعددية.

ونقترح أن يتم إطلاق المبادرة المنصرص عليها في هذا التقرير من خلال ورشة عمل ويتم إجرائها في واشنطن أو أي مكان مناسب وتضم عدد من ممثلي المسلمين المعتدلين. وستساعد هذه الورشة في الحصول على معلومات وستدعم المبادرة وكذلك سيتم تحضير الأجندة وحصر الأسماء من المشاركين للمؤتمر الدولي الذي سيعقد في الكونجرس بعنوان "الحرية الثقافية".

إذا نجح هذا الحدث فسنعلم مع المجموعة الرئيسية لعقد مؤتمر في مكان يمثل رمز للمسلمين مثل قرطبة في إسبانيا ويتم إطلاق هجوم منظم على الإسلام الراديكالي.